خطابات

مجلة محكمة نصف سنوية تعنى بدراسات الخطاب

العدد الثالث، يونيو 2021

التلاعب في الخطاب

رئيس التحرير

أ. د. عماد عبد اللطيف

محرر هذا العدد

د. محمد يطاوي

تصدر عن مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات – الجمهورية الجزائرية

الترقيم الدولي للمجلة 2716-8670 (ISSN)

هيئة المجلة

رئيس مجلس إدارة مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات

د. عبد الوهاب الباشا

رئيس التحرير

د. عماد عبد اللطيف

مدير التحرير

د. ضياء عبدالمبدي

مدقق المجلة

أ. محمد إسماعيل

الهيئة الاستشارية: (مرتبة أبجديًا)

د. أحمد سعود، الجزائر

د. إدريس جبري، المغرب

د. الحسين بنوهاشم، المغرب

د. آمنة بلعلي، الجزائر

د. أنيسة داودي، الجزائر

د. حاتم عبيد، تونس

د. حسام قاسم، مصر

د. زكية العتيبي، السعودية

د. سامي سليمان، مصر

د. سعيد العوادي، المغرب

د. سلام دياب، فرنسا

د. صالح غيلوس، الجزائر

د. صلاح حاوي، العراق

د. عبد الرحمن عبد السلام، مصر

د. عبد السلام المسدي، تونس

د. عيد بلبع، مصر

د. عيسى برهومة، الأردن

د. لطيفة الأزرق، المغرب

د. مجدي توفيق، مصر

د. محمد العبد، مصر

د. محمد العمري، المغرب

د. محمد الولي، المغرب

د. محمد بوعزة، المغرب

د. محمد شومان، مصر

د. مصطفى شميعة، المغرب

د. منية عبيدي، تونس

د. نادر سراج، لبنان

د. نادر كاظم، البحرين

د. نزهة خلفاوي، الجزائر

د. نعيمة سعدية، الجزائر

د. هناء الربيعي، العراق

د. يوسف الإدريسي، المغرب

نبذة عن المجلة

مجلة خطابات دورية علمية نصف سنوية، تُعنى بنشر دراسات الخطاب، تنشر دراسات تطبيقية في الخطابات المختلفة؛ الدينية، والسياسية، والأدبية، والاجتماعية، والإعلامية، والتربوية، والرياضية، والإشهارية، وغيرها. كما تنشر دراسات نظرية في منهجيات تحليل الخطاب مثل التحليل النقدي للخطاب، وتحليل المحادثة، وتحليل السرد، ودراسات الحجاج، وبلاغة الجمهور، وغيرها. تُرحب المجلة، على وجه الخصوص، بالدراسات البينية التي توظف مناهج تكاملية تدمج بين التحليل اللساني، والبلاغي، والتواصلي، والسياسي، والاجتماعي، والنفسي، وغيرها. لغة النشر الرئيسة في المجلة هي العربية، وتقبل المجلة منشورات بالإنجليزية والفرنسية في بعض أعدادها.

تسعى مجلة **خطابات** أن تكون نقطة التقاء باحثي الخطاب في العالم العربي. فهي تقدم نافذة نشر متخصصة تمكّنهم من التعريف ببحوثهم، ومشاريعهم العلميّة؛ من خلال نشر المقالات المحكمة، ومراجعات الكتب، وتقارير المؤتمرات والفعاليات الأكاديمية، وملخصات رسائل الماجستير والدكتوراه وثيقة الصلة. علاوة على ذلك، تسعى مجلة خطابات أن تكون جسرًا بين دراسات الخطاب في العالم العربي وخارجه؛ عبر نشر تراجم متخصصة، ومراجعات لكتب منشورة بلغات غير العربية، ومتابعات لواقع حقل تحليل الخطاب خارج العالم العربي.

شروط نشر المقالات في المجلة

1. ألا يكون البحث منشورًا، أو مقدمًا للنشر إلى أية وسيلة نشر أخرى، إلكترونية أو مطبوعة.
2. أن يُرفَق بالبحث ملخصان أحدهما باللغة العربية والآخر بالإنجليزية أو الفرنسية، في حدود 150 كلمة لكلٍّ منهما، وأن يتضمن البحث خمس كلمات مفتاحية.
3. أن يكتب البحث بخط Traditional Arabic مقاس المتن 14، ومقاس الهامش 12.
4. أن يُشار إلى الهامش والإحالات أسفل كل صفحة، على أن تعرض قائمة المصادر والمراجع في نهاية المقال مرتبة هجائيًا بحسب اسم الشهرة.
5. أن تترك مسافة 1 سم بين الأسطر، وتكون هوامش الصفحة 2 سم من كل الجهات.
6. أن يُرسل البحث في ملف وورد، على أن تتضمن الورقة الأولى لمادة النشر المعلومات الشخصية للباحث: اسمه ولقبه، ورتبته الأكاديمية، وتخصصه، والمؤسسة العلميّة التي يتبع لها، ورقم هاتفه، وبريده الإلكتروني.
7. تتبع المقالات المكتوبة بالفرنسية والإنجليزية بـ«نظام شيكاغو» للتوثيق https://www. chicagomanualofstyle.org/tools_citationguide.html.
8. توضع الصور، والخرائط، والجداول والرسوم البيانية في متن المقال، على أن تتضمن مصادرها، والروابط المشيرة لها.
9. المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا عن رأي صاحبها.
10. يتراوح حجم البحث ما بين 5000 – 10000 كلمة، بما في ذلك الجداول والمرفقات من هوامش ومصادر ومراجع.
11. يُرفِق الباحث مع بحثه تعهدًا يفيد بأن بحثه أصيل، ولا يتضمن أي انتهاك لقواعد الأمانة العلمية المتعارف عليها. وفي حال ثبوت ما يخالف ذلك، تقوم المجلة بإخطار الجامعة أو المؤسسة التي يعمل بها الباحث بواقعة السرقة، ويوضع في قائمة سوداء يُحظر التعامل معها لاحقًا.
12. يحق لهيئة التحرير إجراء تعديلات على المادة المقدمة للنشر، متى لزم الأمر.
13. يحكّم البحوث أساتذة مختصون، ويُنشر البحث إذا وافق على نشره محكمان اثنان على الأقل.
14. في حالة إبداء ملاحظات من طرف المحكمين، ترسل الملاحظات إلى الباحثين لإجراء التعديلات اللازمة خلال مدة أقصاها أسبوعان.
15. ترسل المقالات إلى البريد الالكتروني التالي: Majalat.khitabat@gmail.com

محتوى العدد

اسم الباحث	الانتساب الأكاديمي	عنوان البحث	الصفحة
	أبحاث عربية		
د. عماد عبد اللطيف	كلية الآداب والعلوم جامعة قطر – قطر	دراسة التلاعب في الخطاب العربي إطلالة موجزة	11
د. إبراهيم عبد التواب حمزة	جامعة القاهرة القاهرة – مصر	التلاعب بالتمثيلات الاستعارية للفواعل النحوية والفاعلين الاجتماعيين في الخطاب الاقتصادي المعاصر (التقارير السنوية لصندوق النقد الدولي تحت المجاهر اللغوية)	21
د. محمد مفضل	جامعة شعيب الدكالي الجديدة، المغرب	الخطاب الساخر في زمن الوباء التمثل، التفاعل، ومقاومة التلاعب والهيمنة	54
د. علي بن عبد الله	المعهد العالي للدراسات لتطبيقية في الإنسانيات المهدية – تونس	التلاعب بالدلالة في النثر العربي القديم خطاب العناوين والمقدمات نموذجًا	82
د. هدى عبد الغني باز	كلية الألسن، جامعة عين شمس، القاهرة – مصر	التصريح والتلميح في خطاب الشيخ علي عبد الرازق دراسة في استراتيجيات الخطاب	103
د. نور الدين دحماني	جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر	استراتيجية المغالطة السفسطائية والتلاعب في خطاب اعتراف «دونالد ترامب» بالقدس الشريف عاصمة للكيان الصهيوني	128
د. حسن حماني	جامعة مولاي إسماعيل مكناس – المغرب	التلاعب اللغوي الإنجازي بين لسانيات النص وعلم النفس الإدراكي مقاربة لسانية	159
أ. إبراهيم الطاهري	جامعة القاضي عياض مراكش – المغرب	التلاعب بالإدراك استراتيجيةً إقناعية في الخطاب الإعلاني المتحرك شركات الاتصال المغربية أنموذجا	178
د. بسمة عبد العزيز	جامعة عين شمس القاهرة – مصر	سُلطة التلاعُب وتلاعُب السُلطة خطابُ النظامِ في مُواجهةِ الوباءِ والأطباءِ	208

اسم الباحث	الانتساب الأكاديمي	عنوان البحث	الصفحة
أ. يوسف الزدكي	جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس – المغرب	التلاعب في خطاب العنصرية العقدية اليهودية أنموذجا	232
ط.ب. ياسين السهلاوي	جامعة الحسن الثاني المحمدية – المغرب	التلاعب في ترجمة الخطاب القرآني وتحريف المعنى المفاهيم ذات الحمولة الإسلامية أنموذجا	254
أ. محسن بن يامون	جامعة عبد الملك السعدي تطوان – المغرب	التلاعب في الخطاب الإعلامي: من التخييل إلى التجسيد دراسة في المفهوم	271
أ. رشيد السعيدي	جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس – المغرب	آليات التلاعب في الخطاب الإعلامي المكتوب مقاربة بلاغية لسانية	291
ط.ب. عصام بن خدا	جامعة الحسن الثاني المحمدية، المغرب	التلاعب في السرد العربي القديم بين الحيلة والخداع بالقول «البخلاء» و«الحيوان» أنموذجا	314
أبحاث بغير العربية			
M. Aziz Agoulzi	Université Sultan Moulay Suliman Beni Mellal - Maroc	La manipulation ou l'art des menteurs	328
ترجمات			
ألان بارتينغتون ت: د. محمد يطاوي	جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال، المغرب	الكرسي والآلة أبحاث الخطاب بمساعدة المدونات	342
كوستانتين سالفاسترو ت: أ. حسين بعطاوي	جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس – المغرب	العقلانية والتلاعب دور المغالطات في الخطاب السياسي	366

دراسة التلاعب في الخطاب العربي

إطلالة موجزة

د. عماد عبد اللطيف
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب
قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم،
جامعة قطر، 2713، قطر

يهدف هذا المقال الموجز إلى تقديم إطلالة عامة على دراسة التلاعب في الخطاب في السياق العربي. يتتبع المقال المعاني المعجمية لكلمة «تلاعب» في العربية، ويقارنها بالدلالة الاصطلاحية لكلمة «manipulation» التي تُستعمل ترجمةً لها. يفحص البحث الوجهان المتقابلان للعلاقة بين الخطاب والتلاعب؛ أي إنجاز التلاعب بواسطة الخطاب، ومقاومة التلاعب بواسطة الخطاب. يحاجُّ البحث بأهمية دراسة التلاعب في الخطاب العربي، ويقدم أربعة مسارات المقترحة للبحث فيه، ويقترح استعمال منهجية مركبة من التحليل النقدي للخطاب وبلاغة الجمهور لدراسته.

كلمات مفاتيح

التلاعب، الخطاب، التحليل النقدي للخطاب، بلاغة الجمهور، العالم العربي

Studying manipulation in the Arab discourse

A concise overview

This brief article aims to provide an overview of the study of manipulation and discourse in the Arab context. The article traces the lexical meanings of the word "تلاعب" in Arabic, and compares it with its English counterpart "manipulation". It examines the two opposite facets of the relationship between discourse and manipulation: manipulative anti - manipulative discourses. The article highlights the importance of studying the discursive aspects of manipulation in the age of mass manipulation in the Arab world and identifies four paths to study them. It also suggests a methodology that combines Critical Discourse Analysis with the rhetorical empowerment of audiences.

Keywords:

Manipulation, discourse, critical discourse analysis, the rhetorical empowerment of

Audiences, the Arab world

1. ما التلاعب؟

أستعمل كلمة «التلاعب» في هذا المقال ترجمةً لكلمة «manipulation» التي يعرِّفها معجم ميريام – وبستر بأنها «السيطرة (على آخرين) أو اللعب عليهم، بواسطة وسائل دهائية وماكرة وغير أمينة؛ لتحقيق مصالح المرء (أو الجماعة) بخاصة»[1].

تتعدد المقابلات العربية لكلمة manipulation مثل التلاعب والتضليل والمناورة والاحتيال والاستغلال والتشكيل، وغيرها من المقابلات المتعددة بتعدد سياقات استعمال الكلمة في لغتها الأصلية[2]. فيما يتعلق باستعمال كلمة manipulation في سياقات الخطاب، فإنني أفضل ترجمتها بـ«التلاعب»؛ بسبب دقة دلالة التلاعب على مفهوم الأصل الغربي. فكلمة «التضليل» تحمل أثرًا دينيًا قد يكون غير مقصود، هو الضلال. أما كلمة «المناورة» فهي مقابل مستقر لمصطلح آخر متداول في دراسات الحجاج والاستراتيجية مهم هو مصطلح maneuver، والأمر نفسه مع كلمتي الاستغلال exploitation، والاحتيال fraud شائعي الاستعمال في الخطابين القانوني والاقتصادي.

يمدنا معجم الدوحة التاريخي باستعمالين قديمين لكلمة «التلاعب»، يحملان دلالات «اللعب بالشيء، والعبث به، ومحو معالمه، وتشويهه»، يعود أولهما إلى العام 22 قبل الهجرة تقريبًا. ففي بيت منسوب لبشر بن أبي خازم الأسدي يشير الشاعر إلى «تلاعب الريح بالمنزل»، وبحسب معجم الدوحة فإن قول الشاعر «تلاعبت الريح بالمنزل ونحوه»؛ أي «درسه ومحا معالمه»، و«تلاعُبُ الريح بالأشياء: تحريكُها ونقلُها من مكان إلى آخر». ثم يورد المعجم معنى مشابهًا يعود إلى ما قبل سنة 11 هجريًا هو «تلاعَبَ بالشيء: لَهَا به وعَبَث»[3]. والمعاني الثلاث القديمة للكلمة تتوافق مع جزء من دلالة كلمة manipulation في الاستعمال الأجنبي المعاصر، إذ العبث بالشيء وتغيير ملامحه، ونقله من حال إلى حال بواسطة إحكام السيطرة عليه مفاهيم مشتركة بين الأصل الغربي والمقابل العربي.

2. التلاعب والخطاب: أية علاقة؟

يتقاطع مفهوم كلمة «التلاعب» في الاستعمال العربي المعاصر مع المفاهيم القديمة نفسها. فقد يقع التلاعب على الأشياء المادية والمعنوية معًا، فيشوهها، ويمحوها، ويحركها. فنستعمل تعبير «التلاعب بالبورصة»، لنعني استعمال وسائل ماكرة في السيطرة على تداول الأوراق المالية، أو تسعيرها، أو نقل ملكيتها،... إلخ، ويتحقق التلاعب بنفوس المستمعين أو القراء أو المشاهدين حين تُستعمل وسائل ماكرة لتوجيهها والسيطرة عليها، وتشويه إدراكهم. وشبيه بذلك تعبير «التلاعب بالأدلة الجنائية» الذي

(1) انظر، https://www.merriam - webster.com/dictionary/manipulate.

(2) انظر، https://www.almaany.com/ar/dict/ar - en/manipulation/.

(3) انظر: https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%AA%D9%84%D8%A7%D8%B9%D8%A8.

يتحقق باستعمال وسائل غير مشروعة لإخفائها أو تشويهها أو تدميرها أو تزويرها...إلخ. ولعل الفرق بين الاستعمالين العربي القديم والحديث يكمن في طبيعة الوسائل التي تُستعمل للتلاعب، والتي يوجد إيحاء ضمني في الاستعمال المعاصر أنها «ماكرة»، و«شريرة».

تتعدد العلاقات بين التلاعب والخطاب. ويمكن تحديدها فيما يأتي:

2 , 1. التلاعب بواسطة الخطاب

تتعدد الوسائل المستعملة في التلاعب، بحسب مجال التلاعب والمتعرضين له. ويُعدُّ الخطاب أداة رئيسة من أدوات التلاعب. فالمتلاعب يستعمل النصوص والكلام والعلامات غير اللغوية الأخرى بطرق ماكرة لحفز مخاطَبه على تبني أفكار أو اتخاذ قرارات تخدم مصالح المتلاعِب في أغلب الأحوال.

يتحقق التلاعب وفقًا لفان دايك (1998) عندما تتمكن جماعة مهيمنة من إقناع بقية الناس بتبني إيديولوجيا لا تخدم مصالح هؤلاء الناس بل مصالح الجماعة المهيمنة تلك[1]. ويميِّز فان دايك بين التلاعب والإقناع، بواسطة ربط الأول بإساءة استعمال السلطة[2]. لكن مفهوم التلاعب في الخطاب قد يكون أوسع كثيرًا من تحديد فان دايك له. فالتلاعب ليس حصرًا على الجماعات المهيمنة، بل تمارسه جماعات المهمَّشين بالقدر ذاته، وإن بصور مختلفة. فالموظف الصغير الذي ينافق رئيسه للحصول على مزايا استثنائية مقارنة بزملائه يمارس تلاعبًا خطابيًا، يصنع من خلاله صورة غير دقيقة للواقع بهدف تحقيق منافع شخصية، والشعوب المحتلة أو المقهورة تمارس أشكالا شتى من التلاعب بقوى الاحتلال والقهر[3]. كما أن التلاعب قد لا يكون شاملا إلى حد «تبني إيديولوجيا كاملة» بل قد يهدف إلى تحقيق أغراض أكثر محدودية مثل إضفاء شرعية على فعل أو قرار أو سلوك معين بشكل مؤقت ومحدود.

علاوة على ذلك، يثير ربط فان دايك بين التلاعب والإضرار بمصالح المتلاعَب به تساؤلات أخرى. فهذا الربط يعني ضمنيًا أن الأثر المترتب على التلاعب هو الذي يُحدد ما إذا كان تلاعبًا أم لا. فالخطاب يكون متلاعبًا إذا نجح في إقناع أشخاص بفعل شيء ليس في مصلحتهم. أما إن كان الفعل يصب في مصالحهم فهو خارج دائرة البحث النقدي من وجهة فان دايك[4]. وفي تقديري، يثير الربط بين التلاعب ونوع المصلحة التي يحققها مشاكل مهمة منها: ما الذي يُحدد ما إذا كان الإيمان بفكرة ما أو القيام بفعل ما تلاعبيًا أي يتحرك ضد مصالح الجماعة التي قامت به، إذا كنت الجماعة نفسها مقتنعة بأنه يخدم مصالحها؟ إذا احتكمنا إلى إدراك المتلاعبين أنفسهم لفعلهم بوصفه تلاعبًا، فإن هذا الإدراك نادرًا ما سيكون مصرحًا به. فمَن مِن المتلاعبين سيقف ليقول: لقد تلاعبتُ بهذه الجماعة أو تلك لتحقيق أهداف تتحرك ضد مصالحهم؟ كما أن

---

(1) Van Dijk, T. A. (1998). *Ideology: A multidisciplinary approach*. Sage.

(2) انظر، فان دايك، تون. **الخطاب والسلطة**، ترجمة غيداء العلي، مراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، 2014، ص 429 – 433.

(3) للتعرف على بعض الوسائل التي يستعملها المهمشون للتلاعب برجال السلطة في المجتمعات الاستبدادية، يمكن الرجوع إلى: سكوت، جيمس. **المقاومة بالحيلة: كيف يهمس المحكوم من وراء ظهر الحاكم**، ترجمة إبراهيم العريس وميخائيل خوري، دار الساقي للنشر، 1995.

(4) انظر، فان دايك، **الخطاب والسلطة**، مرجع سابق.

المتلاعِب نفسه قد يكون مؤمنًا بأن ما يقوم به يصب في صالح الجماعة التي يتلاعب بها، نتيجة سوء تقدير أو نقص بيانات أو قصور في التمييز بين مصالحه ومصالح الجماعة، أو غيرها من أسباب، فهل ينفي هذا عنه كونه متلاعبًا؟ وماذا لو أن المتلاعب قَصَدَ أن يضر مصالح المتلاعَب بهم، ثمَّ أدت أفعاله دون إرادة منه إلى خدمة مصالح من تلاعَب بهم: هل ينفي هذا أنه متلاعب؛ لأنه حقق مصالح الجماعة ولم يضرها؟

من ناحية أخرى، إذا احتكمنا إلى طرف ثالث، غير المتلاعِب، والمتلاعَب به، فإن هذا الطرف يجب أن يكون «موضوعيًا»، و«نزيهًا» تمامًا ليستطيع وصف فعل ما بأنه يتحرك في إطار مصالح مجموعة ما ضد أخرى، وهذا أمر يبدو عصيًا على التحقق؛ بسبب الميل الفطري للبشر نحو الانحياز إلى ما يتوافق مع مصالحهم. وإن توفر أمثال هؤلاء النزهاء، فستظل المسألة تقديرية إلى حد كبير، ما لم توجد معايير دقيقة تقيس «التلاعب» الخطابي بشكل دقيق، بغض النظر عن مقاصد فاعله.

يمكن أن نضيف تحديًا آخر لربط التلاعب بالنتيجة المترتبة عليه. فبعض الأشخاص يستعملون التلاعب عن قصد بهدف خدمة مصالح المتلاعَب بهم، مثلما هو حال الطبيب الذي يتلاعب بإدراك المريض لطبيعة مرضه، ليحول بينه وبين الاستسلام، ويحفزه على المقاومة، أو السياسيُّ الذي يتلاعب بالرأي العام في حالة الحرب كي يحقق خطة استراتيجية شاملة على نحو ما فعل السادات في حرب أكتوبر 1973. فهل ننزع صفة التلاعب عن هذه الممارسات لأنها تخدم مصالح الجماعة المستهدفة بها؟! وهل نتعامل معها على أنها غير تلاعبية؟ وهل يضعنا هذا أمام تلاعب «مشروع»، وآخر «غير مشروع»؟ وهل يكون فعل ما «غير تلاعبي» في وقت ما، فإذ كُشف الغطاء عن الحقائق بعد زمن اكتسب صفة «التلاعب» على نحو ما يجري مثلا في حالة الدعاية الحربية؟ ومن الذي بإمكانه منح صك «مشروعية» التلاعب في مجتمعات تتنفس تلاعبًا، مثل المجتمعات العربية؟

يطرح ربط فان دايك مشكلا أخيرًا إذ يكاد يقتصر تصور التلاعب الذي يوجه اهتمامه له على الممارسات التلاعبية الشاملة التي تُنجزها أنظمة حكم أو جماعات تأثير تكتسب قوتها واستمرارها من السيطرة على إدراك بقية الجماعات للعالم الذي يعيشون فيه، بواسطة تبني نسق شامل من التصورات والقيم والمعتقدات والأفكار الداعمة لمصالح هذه الأنظمة. ويُعدُّ هذا هو المستوى الأشمل والأكثر خطورة للتلاعب بالخطاب، ويمكن التمثيل له بحالات التلاعب الشامل الذي أنجزته قوى الاستعمار والأنظمة الاستبدادية والشعبوية وغيرها.

عادة ما يقترن هذا النوع من التلاعب الشامل بالممارسات السياسية والدينية والاستهلاكية، ويقترن فيه التلاعب بتبني إيديولوجيا كاملة، بكل ما فيها من نسق قيم وأفكار وتوجهات...إلخ. لكن هناك أشكال ودرجات أخرى للتلاعب، بدءًا من التلاعب الممارَس في سياقات فردية؛ لتحقيق منافع جزئية آنية، مثل البائع الذي يصور سلعة ما على غير حقيقتها، بهدف بيعها، أو التلاعب بإحصاءات أداء مؤسسة ما، لإيهام المتعاملين معها بمتانة موقفها الاقتصادي... إلخ. هذه الأشكال من التلاعب الفردي والمؤسسي لا تتسم بالشمول، ولا تهدف إلى السيطرة على قناعات وإدراكات المستهدفين بها على مدى زمني طويل، بقدر ما تهدف إلى توجيه سلوكه آنيًا؛ ليقوم بفعل يخدم أهداف المتلاعِب بشكل رئيس. وهي أشكال من التلاعب

تفيد دراستها في فهم كيفية تحقق التلاعب في سياقاته ودرجاته المختلفة.

لقد حظي التلاعب السياسي الشامل باهتمام كبير من الباحثين على وجه التحديد، على نحو ما يكشف عنه النظر في الأعمال المكرسة لفحص التلاعب السياسي. لكن هناك سياقات أخرى للتلاعب لا تقل أهمية وخطورة. فالتلاعب الذي تمارسه وسائل الإعلام والمعلنون، وملوك الترفيه والتسلية، وشيوخ الفضائيات، وغيرهم، قد لا يقل تأثيرًا في حياتنا اليومية عن تأثير التلاعب السياسي الشامل. وتبدو في الوقت الراهن الصلة وثيقة بين فاعلي التلاعب السياسي، فالرياضيون، والممثلون، والمطربون، والمشاهير في كل مجال، غدوا يشكلون طليعة الفاعلين في التلاعب في مجتمعاتنا، وكثير منهم يوظَّف في خدمة التلاعب السياسي الشامل نفسه.

2 , 2. مقاومة التلاعب بواسطة الخطاب

العلاقة الثانية التي يمكن أن توجد بين التلاعب والخطاب علاقة عكسية، تتحقق حين يتمكن الشخص من التحرر من التلاعب الخطابي بواسطة إنتاج خطاب مضاد للتلاعب. فإذا كان الخطاب أداةً إنجاز التلاعب، فإنه يمكن أن يكون كذلك أداة مقاومته. وإن كان التلاعب الخطابي عملية إساءة استعمال للخطاب بواسطة وسائل ماكرة لتحقيق غايات المتكلمين، فإن مقاومة التلاعب يمكن أن تكون خطابية كذلك، بواسطة:

أ. كشف الخطابات التلاعبية، وفضح أساليبها التحايلية

يشبه التلاعب ألعاب الحواة والسحرة، إذ يظل قادرًا على التأثير فينا، حتى نكتشف طريقة عمله، ونفهم حيله وأساليبه ودوافعه وآثاره. وبذلك تصبح المعرفة فعل مقاومة؛ لأنها تحولُ دون الوقوع في حبائل التلاعب، وإنجاز أغراض المتلاعبين.

ب. إنتاج استجابات بليغة مضادة للخطابات التلاعبية

يشير مفهوم الاستجابة البليغة إلى العلامات اللغوية وغير اللغوية التي يستعملها الفرد لمقاومة الخطابات السلطوية[1]. والتلاعب تجلٍّ مهم من تجليات الخطاب السلطوي، بمعية تجليات أخرى مثل التمييز والعنصرية والإقصاء والقهر والاستبداد الخطابي. ويعني إدراج مكون الاستجابة في دراسة التلاعب إدراك أن التلاعب لا ينجح إلا بابتلاع المستهدفين به له، وأنه يمكن مقاومة التلاعب بواسطة ضحاياه أنفسهم. فليس ثمة ضمانة بأن يتوقف البشر عن التلاعب بالخطاب خدمة لمصالحهم، لكن هناك إمكانية أن يتوقف المتلاعب عن تلاعبه حين يُدرك أن ممارسة التلاعب ليست مأمونة العاقبة بفضل تفطن وعي المتلاعَب بهم، وقدرتهم على إنتاج استجابات مضادة مقاومة.

3. أهمية دراسة التلاعب في الخطاب

على نقيض التصور، الذي يبدو منطقيًا، بأن تعدد منافذ المعرفة وإتاحتها بأيسر السبل سوف يدعم قدرة

(1) انظر، عبد اللطيف، عماد. (2020). البلاغة العربية الجديدة: مسارات ومقاربات. دار كنوز المعرفة، عمّان، ص 363 – 388.

البشر العاديين على استكشاف «الحقيقة»، وتمييزها، وتجنب التلاعب بهم وبها، يبرهن القرن العشرين، عصر ثورة التواصل والمعلومات، على أن توافر المعلومات وتنوع مصادرها لا يتناسب طرديًا مع قابلية الوقوع ضحية للتلاعب. والمفجع حقًا هو أننا إذا استطعنا تسمية عصرنا بأنه عصر المعلومات الوفيرة، فإننا نستطيع بالقدر نفسه أن نسميه عصر التلاعب الشامل. وتكفي نظرات سريعة إلى عبدة كرة القدم، وفدائيي الشعبوية، ومهووسي الشوفينية، وإرهابيي العقيدة، وحارسي الاستبداد، لإدراك أن مئات الملايين من البشر غارقون حتى شعر رؤوسهم في مستنقعات التلاعب في كل مكان من أرضنا المبتلاة، لا أميز هنا بين عرب وغير عرب وشمال وجنوب وشرق وغرب، فالبشرية في جُلِّ بلدانها، تشترك في هذا البلاء.

إنني أستطيع القول بيقين إن شركاء تجارة التلاعب هم الأوفر حظًا في عالمنا الراهن، فالمشاهير في كل مجال، وقادة الرأي في كل حقل، هؤلاء الممسكون بخيوط عقول ملايين البشر، القادرون على تحريكها حسبما يشاء من يدفع لهم الأجور، هم أنفسهم الأعلى دخلا، والأقوى نفوذًا في عالمنا الراهن. إنه عالم تلاعبي بامتياز. المتلاعبون يتجولون فيه بحرية في غرف نومنا وصالوناتنا وشوارعنا عبر الهواتف والتلفزيونات وحوائط الإعلانات وغيرها، يبيعوننا لمنتجي السلع، والسياسيين، ورجال الدين، ويقبضون الثمن.

يزداد إدراكنا لخطورة المستقبل المظلم للتلاعب في عالمنا المعاصر إذا وضعنا في الحسبان التطور الهائل في تقنيات ممارسته. ففي افتتاحية كتاب «التلاعب الحاسوبي» يحذر صمويل وولي SAMUEL WOOLLEY وفيليب هاورد PHILIP HOWARD من الإمكانيات الجديدة للتلاعب، التي وفرها تطور التقنيات الحاسوبية تحديدًا[1]. ولإدراك خطورة تقنيات التلاعب الجديدة سأضرب مثالا واحدًا هو الدور الذي تقوم به روبوتات الإنترنت internet bots في إنتاج خطابات تلاعبية على نطاقات لم تكن متاحة للبشر العاديين من قبل طوال تاريخهم. فقد أشار وولي وهاورد إلى أنه باستطاعة روبوتات الإنترنت الانخراط في إنتاج كم هائل من الرسائل التلاعبية توزَّع وتُتداول في فضاءات شتى، في اللحظة نفسها. وبفضل تطوير قدرتها على محاكاة البشر العاديين، يمكن لهذه الروبوتات الإيهام بأن النصوص والخطابات التي تنشرها هي لبشر حقيقيين. كما يمكن أن تقوم روبوتات الإنترنت بمراقبة منشورات البشر العاديين، وممارساتهم الخطابية على الشبكة العنكبوتية، والتخلص من النصوص أو الخطابات التي تشكل تحديًا للجهة أو المؤسسة التي تبرمجها[2].

لقد أشار وولي وهاورد إلى المخاطر التي توجدها روبوتات الإنترنت على المجتمعات المعاصرة، فما أطلقوا عليهم «الفواعل السياسيين الآليين» بإمكانهم تضخيم رسائل سياسية معينة وكبت أخرى، والإيهام بوجود تأييد هائل أو توافق عام حول فكرة ما، ورفض شعبي لفكرة أخرى، وذلك على خلاف

(1) انظر، Woolley, S. C., & Howard, P. N. (Eds.). (2018). *Computational propaganda: Political parties, politicians, and political manipulation on social media*. Oxford University Press.

(2) نفسه، ص 5.

الواقع[1]. ولم يكن غريبًا أن يصل محررا الكتاب في خاتمته إلى أن ما يطلقان عليه «البروباجندا الحاسوبية computational propaganda» – التي تمارَس بواسطة تقنيات حاسوبية مثل روبوتات الإنترنت – تشكل تهديدًا هائلا للمجتمعات المعاصرة، فهي «الآلة الأقوى المضادة للديمقراطية»[2] بحسب تعبيرهما.

4. الأهمية الخاصة لدراسة التلاعب في الخطاب عربيًا

لا يوجد مقياس يتتبع درجة انتشار التلاعب في الخطاب في المجتمعات العربية، سواء في السياقات العمومية أو الخاصة. لكن هناك إدراك شائع بوجود ظواهر مألوفة وثيقة الصلة بالتلاعب؛ مثل الكذب المتعمد، وإخلاف العهود، والتعتيم، والتكميم، وسلب الحق في المخالفة أو النقد أو التفنيد، والإكراه على القبول، وتشويه الحقائق، والتحكم القسري في استجابات المتلقين، وغيرها.

علاوة على ذلك، تتيح الظروف العامة التي تعيشها معظم المجتمعات العربية ازدهار التلاعب وتوغله مقارنة بمجتمعات أخرى. إذ يسهل استعمال التلاعب في المجتمعات التي تعاني من غياب الديمقراطية، وتشيع فيها سياسات القهر، ومصادرة الحريات، وتعاني من تفاوت السلطة. ففي هذه المجتمعات تسهل ممارسة التلاعب، وتصعب جهود التصدي له ومقاومته بسبب الثمن الباهظ للجهر بالحقيقة. وعلى النقيض من ذلك، فإن المجتمعات التي تتمتع بالديمقراطية السياسية وحرية التعبير والمساواة المجتمعية، قد يواجَه فيها انتشار التلاعب بأشكال متنوعة من المقاومة، بفضل وجود فضاءات حرة متعددة لنقده وفضحه، وبسبب الثمن الباهظ الذي قد يدفعه ممارسوه في حال كشفه وانفضاحه. بالطبع فإن هناك استثناءات في جميع الحالات، لكن لا أظن أنها تقلل من وجاهة العلاقة العكسية بين الحرية والديمقراطية من ناحية وانتشار التلاعب من ناحية أخرى.

إذا سلَّمنا بأن المجتمعات العربية يشيع فيها التلاعب المحمي من النقد فإن مسئولية الباحثين عن دراسة هذا التلاعب تغدو أكثر إلحاحًا وأهمية. لكن نظرة على الدراسات العربية تخيب أملنا بشدة. فعدد الدراسات العلمية الرصينة التي تتناول التلاعب في الفضاءات العمومية العربية التاريخية أو الراهنة محدود بصورة مفجعة. وأكاد أقول إننا أمام حقل ما يزال بكرًا إلى حد كبير. على الرغم من وجود مدونة هائلة من الخطابات التلاعبية التي تستحق معالجة علمية رصينة، وحاجة ملحة إلى دراستها.

تزداد أهمية دراسة التلاعب في المجتمعات العربية بالنظر إلى التقدير الكبير للبلاغة في المجتمعات العربية. فقد تطورت نظرة تفصل بين البراعة البلاغية والتقييم الأخلاقي للكلام. فحظيت بعض أكثر الخطابات السياسية إساءة لاستعمال السلطة بتقدير كبير بسبب براعتها البلاغية، على نحو ما نرى مثلا في أشعار النقائض التمييزية العنصرية، وخطب الحجاج بن يوسف الثقفي القهرية الإقصائية، ومثيلاتها من خطابات ونصوص تعج بها كتب مختارات التراث الأدبي، وشاشات تلفازنا، وافتتاحيات صحفنا، وفضاءات تواصلنا الافتراضي...إلخ.

(1) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(2) انظر، ويلي وهاورد، ص 244.

يستحق الإرث العربي الهائل من تقنيات التلاعب وممارساته دراسات شتى تكشف عن طرق تشكله، وتقيس تأثيره، وتفسر طريقة عمله، وتمهد الطريق معرفيًا أمام إمكانية مقاومته. ومن هذه الزاوية، فإن دراسة التلاعب في الخطاب يمكن أن تكون جزءًا من المسئولية الأخلاقية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وتجليًا للإيمان بأن المعرفة أداة تحرر وتحرير. وبقدر ضرورة إدراك أهمية دراسة التلاعب في الخطاب، تكون الحاجة إلى معرفة طرق دراسته.

5. مسارات دراسة التلاعب في الخطاب العربي

أقترح أن تأخذ دراسات التلاعب في الخطاب العربي مسارات أربعة رئيسة هي:

أ. استكشاف آليات التلاعب في الخطابات العمومية والخاصة، واستخلاص القواعد الحاكمة لاستعمالها؛ بهدف كشف الحيل والألاعيب المستعملة في التلاعب.

ب. دراسة الآثار المترتبة على التلاعب الشامل، لا سيما ما يتعلق بالأحداث الكبرى في التاريخ العربي القديم والحديث والمعاصر؛ بهدف إلقاء الضوء على الكُلفة الكبيرة للتلاعب في الخطاب، وبخاصة التلاعب الذي أنتج أوضاعًا مأساوية مثل الاحتلال الخارجي، أو الحروب الأهلية، أو الاستبداد.

ج. دراسة الخطابات المقاوِمة للتلاعب الشامل، مثل الأغاني الشعبية، والنكت، والكاريكاتير، وأفلام السينما، ورسوم الحوائط، وغيره؛ بهدف تحليل استراتيجيات مقاومة التلاعب، في الفضاءين الشعبي والنخبوي.

د. دراسة خصوصية البحث في التلاعب في الخطاب العربي: سواء من زاوية خصوصية اللغة العربية، أو خصوصيات إنتاج الخطابات العربية وتداولها وتوزيعها والاستجابة لها.

خاتمة: هل يمكن الشفاء من التلاعب الشامل في السياق العربي

وضع مالكولم كوكسال Malcolm Coxall عبارة «ستحررك الحقيقة» في صدر غلاف كتابه «التلاعب البشري»[1]. والعبارة التي صُدِّر بها كتاب عن أنواع التلاعب وطرق كشفه تحتوي على دلالتين؛ إحداهما ضمنية؛ هي أن غياب الحقيقة قيد وسجن، والأخرى مباشرة هي أن الحقيقة أداة تحرر. وأظن أن العبارة بدلالتيها صحيحة إلى حد كبير. ويمكن المحاجَّة بأن دراسة التلاعب في الخطابات العربية تمهد الأرضية للخلاص من سجن التلاعب، وتفتح الباب أمام تحرر العقول والنفوس. ولكي يتحقق هذا الهدف لابد من المزج بين المعرفة والفعل، أي بين القدرة على التعرف على الخطابات التلاعبية، وفهم آليات عملها من ناحية، والقدرة على إنتاج استجابات مقاومة لها من ناحية أخرى.

لتحقيق تلك الغاية، أقترح تبني مقاربة مزدوجة لدراسة التلاعب، تجمع بين التحليل النقدي للخطاب الذي يمدنا بأدوات معرفية تمكننا من فهم آليات عمل التلاعب في الخطاب، وبلاغة الجمهور التي تمدنا

(1) Coxall, M. (2013). *Human Manipulation: A Handbook*. Malcolm Coxall – Cornelio Books.

بمعارف ومهارات تمكننا من إنتاج استجابات بليغة[1]. بالطبع فإن ثمة عوائق كبيرة قد تحول دون تحقق حلم الوصول إلى عالم يخلو من التلاعب، لا سيما في عالمنا العربي الموبوء بالجهل والاستبداد، وتقييد الحريات الأكاديمية، علاوة على الزمن الطويل الذي قد يتطلبه إحداث تراكم معرفي في دراسة التلاعب في السياق العربي، وصعوبات نقل هذه المعرفة إلى البشر العاديين. ومع ذلك، فإن الحلم بعالم خالٍ من التلاعب الشامل قد لا يكون بعيد المنال إن تراكمت الجهود المخلصة في دراسة الظاهرة ومقاومتها.

(1) انظر، عبد اللطيف، عماد. (2021). البلاغة العربية الجديدة: مسارات ومقاربات. دار كنوز المعرفة، ص 357 – 604.

قائمة المصادر والمراجع

- سكوت، جيمس. **المقاومة بالحيلة: كيف يهمس المحكوم من وراء ظهر الحاكم**، ترجمة إبراهيم العريس وميخائيل خوري، دار الساقي للنشر، 1995.
- عبد اللطيف، عماد. (2021). **البلاغة العربية الجديدة: مسارات ومقاربات**. دار كنوز المعرفة.
- فان دايك، توين. **الخطاب والسلطة**، ترجمة غيداء العلي، مراجعة عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، 2014.
- موقع معجم الدوحة التاريخي على الإنترنت: https: / /www.dohadictionary.org /dictionary
- موقع معجم المعاني على الإنترنت: https: / /www.almaany.com /ar /dict
- موقع معجم مريام وبستر على الإنترنت https: / /www.merriam – webster.com /dictionary

- Coxall, M. (2013). *Human ManipulationAHandbook*. Malcolm Coxall – Cornelio Books.
- Van Dijk, T. A. (1998). *IdeologyAmultidisciplinaryapproach*. Sage.
- Woolley, S. C., & Howard, P. N. (Eds.). (2018). *ComputationalpropagandaPoliticalpartiespoliticiansandpoliticalmanipulationonsocialmedia*. Oxford University Press.